Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

العدد الخامس عشر – كانون الأول – 2025 / December

الفذلكة في أحاديث الأدب النبوي في صحيح البخاري – دراسة بلاغية –

أ.م.د. شيماء أحمد محمد[1]، م. م. شيماء فاضل جاسم[2]
[1، 2] كلية الآداب ـ جامعة الموصل

[1]shaymaa.a.m@uomosul.edu.iq

[2]shaymaa.jasim@uomosul.edu.iq

ملخص. يسعى هذا البحث إلى استقصاء جماليات التناول البلاغي للفذلكة في أحاديث مختارة من الأدب النَّبوي في صحيح البخاري بوصفها أنموذجًا بلاغيًا غنيًّا بالدلالات البلاغية، وقد اشتملت الأحاديث النبوية على أساليب بلاغية متنوعة كونها بنية تعبيرية ذات دلالات فنية، وقد كشفت الدراسة عن تنوع الأساليب البلاغية التي ارتبطت بذكر الفذلكة في هذه الأحاديث من حيث أثرها الفني وبعدها الجمالي ووظيفتها التصويرية داخل السياق النَّبوي، بما يجلي تعدد المستويات البلاغية في النص النَّبوي، أمَّا المنهج المتبع بهذه الدراسة منهج استقرائي تحليلي الذي قام عل أحاديث مختارة من صحيح البخاري منضوية ضمن إطار الأدب النَّبوي، وتناولت الدراسة الموضوع من جوانب عدة بدءا بالفذلكة من اللغة الى الاصطلاح والفذلكة بين القياس والسماع، والفذلكة في الأدب النبوي في سياق الأمثال، والفذلكة في الأدب النَّبوي في سياق التفسير.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، الامثال، التفسير، الأدب، الفذلكة.

Abstract. This research seeks to investigate the aesthetics of the rhetorical treatment of pedantry in selected hadiths from the Prophet's literature in Sahih al-Bukhari, as a rhetorical model rich in rhetorical connotations. The Prophet's hadiths included various rhetorical styles as they are an expressive structure with artistic connotations. The study

revealed the diversity of rhetorical styles associated with the mention of pedantry in these hadiths in terms of their artistic impact, aesthetic dimension, and pictorial function within the Prophet's context, which clarifies the multiplicity of rhetorical levels in the Prophet's text. The method followed in this study is an analytical inductive method based on selected hadiths from Sahih al-Bukhari that are included within the framework of Prophetic literature. The study addressed the subject from several aspects, starting with pedantry from language to terminology, pedantry between analogy and hearing, pedantry in Prophetic literature in the context of proverbs, and pedantry in Prophetic literature in the context of interpretation.

الفذلكةُ من اللغَة إلى الاصطلاح:

من أوائل من تنالوا لفظ الفذلكة من زاويته اللغوية الحسن بن محمد الصغاني (ت650هـ)، إذ يقول: "وَقَوْلُهم: فَذَلِكَ حسَابَهُ؛ أي: أَنْهَاهُ وفرغَ منه، كلِمةٌ مُخترَعةٌ، أُخِذتْ من قولِ الحاسِبِ، إذا أجملَ حِسَابَهُ: فذلِكَ كذا وكذا عدَدًا، أو كذا وكذا قفيزًا، وهذه الكلمةُ مثلُ قولهم: فَهْرَسَ الأبوابَ فهرسةً، إلّا أَنَّ "فذلِكَ" ضاربٌ بعرقٍ في العربيةِ و"فَهْرَس" مُعرَّبٌ" (الحسن الصغاني، 1979م: 5/227-228)

أمّا الفيروزآبادي (ت817هـ) فقد تبنَّى الرؤية ذاتها التي ذهب إليها الصغاني في تحديده للمعنى اللغوي للفذلكة: "فذلِكَ حسَابَهُ: أنهاهُ وفرَغَ منه مُخْتَرَعَةٌ من قولهِ إذا أجْمَلَ حِسابَهُ: فَذْلِكَ كذا وكذا". (الفيروزآبادي، 2005م: 950).

وممَّا يلحظ أن الزبيدي (ت1205هـ) وافق ما ذهب إليه الصغاني في تحديد دلالة الفذلكة، لكنه لفت النظر إلى غياب التعريف الصريح لها في معجمي الجوهري (ت393 هـ) وابن منظور (ت711هـ). (مرتضى الزبيدي: 27/394).

توسع بطرس البستاني (ت1300هـ) في شرحه لأصل هذه المادة، فقال: "فذَلِكَ حسَابَهُ فذلكةً، أَنهاهُ وفَرَغَ منهُ، وهي مُخْتَرَعةٌ من قولِ الحاسب إذا أَجملَ حسَابَهُ، فَذَلكَ كذا وكذا إشارةً إلى حاصل الحسابِ ونتيجتهِ، والفذلكةُ: مصدرٌ يُراد به في كلامِ العلماءِ إجمال ما فُصّلَ أولًا، وكلّ ما هو نتيجةٌ متفرعةٌ على ما سبق، حسَابًا كان أو غيره؛ ومجملُ الكلامِ وخلاصتهِ، ونظير هذا الأخذ، أخذهم البسملةِ والحمدلةِ، ونظائرها، وهذا يُسمَّى بالنحت, وقد يكون ذلك في النسب، كـ "عبقيسي "و "عبشمي " في عبد القيس،عبد شمس... إلى غير ذلك". (بطرس البستاني، 1977م: 680-681).

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ويفهم من قول أحمد رضا (ت1372هـ) أنَّ كلمة الفذلكةَ من الألفاظ المولدة، استنبطت من التعبير الحسابي المتداول عند الانتهاء من الجمع، إذ يقال: فذلك كذا وكذا، إي خلاصة ما تم وتلخيصه. (أحمد رضا، 1960م: 374/4).

وقد تناول الدكتور أحمد مختار عمر(ت1424هـ) تصريفات لفظ الفذلكة بتوسع، فبيّن أنَّها تشتقُ من: فَذْلَكَ يُفذْلكُ فذلَكَةً، فهو مُفذلكٌ والمفعول مُفَذْلكٌ. مستخلصًا أنّ أصل الكلمة منحوت من عبارة فذلك كذا وكذا، أي لخصه أو جمعه، ثُمَّ أشار إلى أنّ من استعمالاتها الدلالية المعاصرة ما يدل على التلاعب بالألفاظ والتزيين المُضلل، كما في قولهم: لم يفلح في إقناع خصمه رغم تفذلكه في الحديث. (أحمد مختار عمر، 2008م: 1683/3).

أمَّا مجمع اللغة العربية بالقاهرة ممثلًا بإبراهيم مصطفى وآخرون فقد سار في تعريفهِ للفذلكة على نهج من سبق من أئمة اللغة، إذ بيّن أن هذا المصطلح يدل على الجمع والتلخيص لما تقدم من كلام سواء أكان ذلك في نهاية حديث أو سرد أو حساب وذلك على نحو ما يقال: "فذلكة القول" أو" فذلكة الكلام" بمعنى خلاصته وزبدته. (إبراهيم مصطفى وآخرون: 678/2).

وتستفاد من أقوال بعض اللغويين إشارة إلى أن لفظ "الفذلكة" من الألفاظ المنحوتة إذ نُظم من تعبيرهم "فذلك كذا وكذا" على غرارِ ما صيغ من ألفاظ أخرى مثل: "البسملة" من "بسم الله" و" الحوقلة " من "لاحول ولاقوة إلا بالله" و"الحمد له " من "الحمد لله" ونحوها. وتجمع الكلمة على "فذلك". (نصر أبو الوفاء، 2005م: 396، وأحمد بن اسماعيل، 2001م: 74).

أمَّا الفذلكة اصطلاحا" فقد قالَ شهابُ الدِّين الخفاجي: الفذلكةُ معناها إجمالُ عددٍ فَصَّله قبله، وأشارَ إلى أَنَّها لفظةٌ مولَّدة منحوتةٌ ليست معرَّبة".(شهاب الدين الخفاجي، 1952م: 205).

واستشهدَ بقولِ المتنبي (المتنبي، 1983م: 526):

"لنَسَقُوا لَنَاْ نَسَقَ الحِسابِ مقدَّمًا وأتى فذَلِكَ إذْ أتيتَ مؤخَّرا".

يقول أحمد بن علي الواحدي في شرح البيت: "جمعَ لَنَا الفضلاءِ في الزَّمانِ، ومضوا مُتتابعينَ مُتقدمينَ عليك في الوجودِ، فلمَّا أتيتَ بعدهم كان فيكَ من الفضائلِ ما كانَ فيهم، مثل الحسابِ بذكرِ تفاصيلهِ أولًا، ثُمَّ يُجملُ على تلك التفاصيل، فيكتب في مُؤخّر الحِسَابِ (فذَلِكَ كذا وكذا) فيجمع في الجملة ما ذكرَ في التفصيل، كذلك أنت جمعت فيك من الفضل ما يفرق فيهم، وهذا البيت يُنظر إلى قولِ من قال (أبو الحسن الواحدي، 1999م: 1977، وابن الرومي، 2002م: 362/2):

"وفي النَّاسِ ممَّا خُصِصْتُمْ بِهِ تفاريقُ لَكِنْ لَكُمْ مُجْتَمَعْ "

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

وذهب أيوب بن موسى الكفوي (ت1094هـ) إلى أَنَّ الفذلكةَ: "مَأخُوذةٌ من قولِ الحسابِ " فَذَلكَ كانَ كذا " إشارة إلى حاصلِ الحِسابِ ونتيجتِهِ، ثُمَّ أطلقَ لفظ الفذلكة لكلّ ما هُوَ نتيجةٌ متفرعةٌ على مَا سبقَ حسابًا كان أو غيره، وَنَظير هذا الأَخْذ أَخذهم نحو البَسْملةِ والحَمدلة ونَظائرهُما من الكلماتِ المُركبة المعلومة، وهذا يُسمى بالنحتِ، وقد يكون مثل ذلكَ في النسبِ لعبقسي وعبشمي إلى غير ذلك" (أبو البقاء الكفوي: 696-697).

يرى محمد بن علي التهانوي أن مصطلح " الفذلكة" يدلُّ على خلاصة الكلام وجمع ما تفرق منه، أي: ما يُستنتج بعد عرض الأقوال أو التفصيلات، ويراد بها النتيجة النهائية أو الحصيلة التي تُبنى على ماسبق. ويُطلق" فذلكة الحساب "كمايوضح علة مجموع تفاصيله التي تُختصر وتُجمع في صيغة نهائية، تُقال على هيئة:"فكذلك كذا" على غرار ألفاظ أخرى مثل" البسملة " من "بسم الله" و"الحمدلة" من "الحمد لله". (محمد التهانوي، 1996م: 2/1264-1265).

ذكرت دائرة المعارف الإسلامية في تعريفها لمصطلح" الفذلكة" أنه يشير إلى الخلاصة أو موجز، وأنه مشتق من الفعل العربي" فذلك" الذي يستخدم عند إنهاء عملية حسابية بالقول: "فذلك كذا وكذا"، تعبيرًا عن النتيجة النهائية للعملية الحسابية ولم يقتصر المصطلح على المجال الرياضي فحسب بل امتد ليستخدم في تلخيص العرائض والتقارير خصوصًا تلك التي كانت تقدم إلى الديوان الهمايوني في الدولة العثمانية ومع اتساع مجالات استعماله غلب عليه المعنى "الخلاصة الوافية " وقد أدرج هذا المصطلح في عناوين لعملين تاريخيين بارزين عن الدولة العثمانية،أحدهما من تأليف كاتب جلبي في القرن السابع عشر، والآخر للكاتب أحمد وفيق باشا في القرن التاسع عشر. (مجموعة من المؤلفين، 1998م: 25/7804).

الفذلكة بين القياس والسماع.

رأى شهاب الدِّين الخفاجي (ت1069هـ) أنَّ" الفذلكة " من الألفاظ المولدة القياسية، وقد تبنى هذا الرأي أيضًا أحمد رضا، وعبد الغني بن علي الدقر (ت1423هـ) كما أيده مجمع اللغة العربية في القاهرة. (شهاب الدين الخفاجي، 1952م: 205، وأحمد رضا، 1960م: 4/374).

من جهة أخرى يرى عبد السلام هارون (ت1408هـ) أنّ كلمة " الفذلكة" من الألفاظ المولدة سماعا، وأن توليدها يعود إلى فترة قديمة جدًا، مستدلًا على ذلك بورودها في " الفهرست" لابن النديم حيث استخدمت للدلالة على خاتمة التأليف وخلاصته وقد أشار هارون إلى أن الكلمة ليست حديثة النشأة كما ورد في

المعجم الوسيط، بل يتجاوز عمر استعمالها ألف عام، ما يجعلها من الكلمات المتجذرة في الاستخدام العربي. (عبد السلام هارون، 1985م: 17).

وأشار ابن النديم (ت438 هـ) في معرض ترجمته لأبي عمر الزاهد (ت345 هـ): "ثُمَّ جمعَ النَّاسُ على قراءةِ أبي إسحاق الطبري له وسمَّى هذه القراءة الفذلكة". (ابن النديم، 1997م: 102).

الفذلكة في الادب النَّبوي في سياق الامثال:

الحديث الأول: " عن النعمان بن بشير، يقولُ: سمعت رسول الله يقولُ: " الحلالُ بيّنٌ، والحَرامُ بيّنٌ، وبينهما مشتبهاتٌ لا يعْلمُها كثيرٌ من النّاس، فمنِ اتَّقى المُشَبَّهاتِ استبرأَ لدينهِ وعرضهِ، ومن وقع في الشُّبهاتِ: كراعٍ يرعى حولَ الحمى، يُوشكُ أنْ يواقعهُ، ألا وإنَّ لكلِّ ملكٍ حمًى، ألا إنَّ حمى الله في أرضهِ مَحارمهُ، ألا وإنَّ في الجسدِ مضغةً: إذا صلحتْ صلحَ الجسدُ كُلهُ، وإذا فسدت فسدَ الجسدُ كلُّهُ، ألا وهيّ القلبُ".(محمد ابن اسماعيل، 1422م: رقم الحديث رقم الحديث 52).

افتتح النَّبي حديثه بأسلوب بليغٍ ينهض بمثالٍ ناصعٍ على حسن الابتداء حيث قال: " الحلالُ بيّن، والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثيرٌ من النَّاس" وهذا الاستهلال ليس مجرد مدخلٍ تعبيري بل هو قاعدة كلية جامعة، ترسم منهجًا واضحًا للحياة القائمة على اجتناب الحرام والسعي في الحلال وتؤسس لميزان أخلاقي دقيق.وقد اعتمد هذا الافتتاح على أسلوب التضاد بين كلمتي" الحلال" و" الحرام" في ثنائية ضدية تكشف الفارق الكبير بين المساحتين: فالحلال فسيحُ المدى، يشمل كل نافع وطيب، كالمآكل المباحة من الحبوب والثمار، والمشرب واللباس وبهيمة الأنعام أمَّا الحرام فمجاله ضيق محدود، يختص بما كان خبيثًا وضارًا، كشرب الخمر، وأكل الميتة والتعامل بالربا ونكاح المحارم وهذه المعاني – بمافيها من وضوح في الحلال والحرام– مدركة للعامة والخاصة على حد سواء وتكشف عن عمق البناء البياني في الحديث من حيث وضوح الأحكام ودقة التصنيف وجمال التقابل.(حسن الجناجي، 2006م: 278 وبدوي طبانة، 1988م: 163) (عبدالمحسن البدر، 2003م: 41).

ويلاحظ في الحديث النَّبوي أن ثمة أسلوب وصلٍ بين " الحلال بين" و" الحرام بين" فجاء التعبير موحدًا في التركيب والدلالة، ممَّا عزّز ثبات الحكمين وأكسب السياق قوة وانسجامًا وهذا الوصل في مثل هذا الموضع يُعد من مواطن الجمال الأسلوبي لما فيه من اتفاق في الخبرية، ومناسبة تركيبية ومعنوية تجمع بين الجملتين من جهة الاشتراك في المعنى والإعراب ثم جاءت الجملة التالية: "وبينهما أمور مشبهات" معطوفة على سابقتيها بالواو ليفهم منها أن هناك منطقة وسطى لا يتجلى فيها الحكم بوضوح في الحلال

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

والحرام ولا تدخل صراحةً في دائرة الحرام وقد أفاد هذا العطف إدخال المشبهات في السياق العام للأحكام، مع التنبيه إلى ضرورة تجنبها اتقاءً للشبهات والمراد بـ"مشبهات" من شبه عليه: خلط عليه الأمر حتّى اشتبه بغيره" ومنه قول الرسول ﷺ: "دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ".(أبو زكريا النووي، 1392هـ: 27/1) (ابن منظور، 1414هـ: 504/13) (أبو عبدالرحمن النسائي، 1986م: رقم الحديث 5711).

وقد اختار النَّبي في هذا الموضع أسلوبًا دقيقًا في التعبير إذ عدل عن القول:" لا يعلمها أكثر" أو" كُلّ النَّاس" إلى قوله: "لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ " وهو تعبير يتضمن إيجازًا بالحذف يمكن تقديره:" لا يعلم حكمها من جهة التحليل أو التحريم كثير من النّاس" وهذا الأسلوب يُفيد أن الشبهات ليست مطلقة في خفائها، بل يغلب وقوعها عند عامة النَّاس في حين يكون إدراك حكمها متاحًا لقلةٍ من أهل العلم والاجتهاد فالمشتبهات إنَّما تشتبه على من لم تتضح له جهة الترجيح بين الأدلة أو عجز عن استنباط الحكم منها بخلاف من أوتي آلة الاجتهاد فإنها تتكشف. (أحمد بن حجر العسقلاني، 1379هـ: 127/1).

يواصل النَّبي حديثه بأسلوب خبري مؤسس على تركيب شرطي في قوله: " فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه" وقد استهلت الجملة بـ "من" الشرطية وهي أداة تفيد العموم غالبًا وتستعمل غالبًا للعاقل ممَّا يُوحي بشمول الخطاب لكل من يحتاط لدينه ويتجنب مواطن الريبة واستخدام الفعل الماضي " اتقى" بعد أداة الشرط يضفي على المعنى صيغة الجزم والحسم وكأن الاتقاء واقع لا محالة في حق المتحذر،أمَّا جواب الشرط فقد جاء بصيغة فعل ماضٍ أيضًا " استبرأ" وهو فعل على وزن " استفعل" مأخوذ من البراءة التي تعني في لسان العرب: الخلو من العيب والنجاة من التهم والبعد عن مواطن الشك، وقد فسر القسطلاني لفظة " استبرأ" على أنها طلب للبراءة ممَّا يُسيء إلى الدين أو يُعرض الانسان للطعن من قبل الناس، فهو يسعى للسلامة لأمن جهة الحكم الشرعي فحسب، بل من جهة حسن السمعة وسلامة الظاهر ايضًا ووردت عرضه بأنها: "عرضُ الرجل، وقيل نفسه، وقيل خليقتهُ المحمودةُ، وقيل ما يُمدح به ويُذمُّ... وفلانٌ نقيُّ العرض أي بريءُ من أن يُشتمَ أو يُعابَ".(ابن منظور، 1414هـ: 33/1، 170/7) (شهاب الدين القسطلاني، 1323هـ: 142/1).

ويزيد المعنى في هذا الحديث وضوحًا وتأثيرًا حين يُرفد بـ اتشبيهُ التمثيلي كما في قوله ﷺ: "وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ " ففي هذا التصوير البلاغي يشبه النَّبي حال من يخوض في الأمور المشتبهة التي لا يظهر حكمها بجلاء براعٍ يقترب من أرضٍ محظورة ممّا يُنذر بقربٍ تجاوزه للحدود وقد استخدم الأسلوب النّبوي أداة التشبيه" الكاف" مع البدء بلفظ " راعٍ" ليُشير إلى استمرار حالة اليقظة والمسؤولية إذ إنّ الراعي مسؤول عما يرعى وحريٌّ به أن يضبط حدوده وجاءت الصورة التشبيهية

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

مستلهمة من البيئة العربية البدوية، وتعرف الحمى موضع يخصّ للإمام ويمنع الغير منه"، فكما أنّ الراعي إذا جرّه رعيه إلى الوقوع في الحمى استحق العقاب ووجه الشبه هو العقاب الحاصل بعدم الاحتراز من الشبهات، وصيغة المضارعة (يُواقعهُ) توحي بالمشاركة بين الصورتين، صورة الماشية من الضأن وغيره وهي تتجه الى الكلأ الذي يغريها، وصورة الإنسان الذي يشتهي المعاصي التي بدورها تغريه، كما قال الرسول ﷺ:" حجبتِ النَّار بالشهوات، وحُجبتِ الجنَّة بالمكاره ".(سعد عبدالرحيم، 2011م: 158، 159) (محمد الكرماني، 1981م: 184/9) (محمد بن إسماعيل البخاري، 1422هـ: رقم الحديث 6487).

وستكمل النَّبي بناؤه البياني عبر استعارة تمثيلية بالغة التأثير حين قال: "أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ" وقد صيغ هذا الخبر بأسلوب تنبيهي طلبي، يبدأ بأداة الاستفتاح "ألا" المقرونة. "إن" لتُحدث يقظة ذهنية وتشويقًا في نفس السامع وتمهيدًا لما سيتبع من معانٍ عظيمة الشأن كما أن تقديم الخبر والجار والمجرور" لكل ملك" على اسم" إن " في الجملة يضفي اهتمامًا خاصًا وتوكيدًا معنويًا على عموم أصحاب السلطة تمهيدًا لبيان ما يقابل ذلك في الجانب الإلهي وقد زاد المعنى تفخيمًا وهيبةً باستخدام" حمى" منكرًا، ممَّا يُشعر بعظم ما يراد حمايته، وهو المحارم الإلهية، أي النواهي التي نهى الله سبحانه عنها وقد جاءت الاستعارة التمثيلية في هذا الموضع على نحو فنيّ رفيع، إذ شبهت المحارم بحمى الملوك دون التصريح بالمشبه بل أبقى النص على المشبه به وحده " حمى الملك" ليُفهم المعنى من سياق المقارنة فكما أن ملوك العرب كانوا يحمون مراعيهم ويقيمون الحرس عليها، ويمنعون اقتراب أحد منها، فكذلك محارم الله؛ هي مواضع محرمة محاطة بسياج من التعظيم والهيبة لا يجوز لمسلمٍ أن يقترب منها ويورد العيني في شرحه للحديث أن الملوك كانت تحمي مراعيها لمواشيها، وتتوعد من يقترب منها بالعقوبة فمن كان يخاف سطوة السلطان تجنب أطراف الحمى وابتعد عنه وأما من لا يبالي فيقرب من جوانبه ويعرض نفسه للعقاب وكذلك هي محارم الله سبحانه من تعداها فقد أوقع نفسه بالمحظورات. (أبو محمد العيني: 302/1).

وقد برز في قوله ﷺ: "لكل ملكٍ حمى، ألا إنّ حمى الله.. " أسلوب المشاكلة البلاغية، حيث تكررت لفظة "حمى" في الموضعين لكنها في كل منهما بمعنى مختلف يتناسب مع السياق ففي صدر الجملة تُفهم " حمى" على معناها المعروف عند العرب وهو المكان الذي يخصه الملك لنفسه أو لرعيته ويمنع سائر الناس من دخوله، ومن يجرؤ على تجاوزه، أمَّا في الجملة الثانية فإن "حمى الله" يراد به محارمه ونواهيه الشرعية، التي نهى عن الاقتراب منها، مثل القتل، الزنا... وغيرها من الكبائر. (أحمد مطلوب، 1993م: 261) (محمد الأمين الهرري، 2009م: 350/17).

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

ويسترسل النَّبي حديثه بجملة مؤثرة يُتابع فيها أسلوبه الخبري الممزوج بإثارة وجدانية وتشويق تعبيري في قوله: "ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله" وقد استهل هذا الجزء مجددا بأداة الاستفتاح "ألا" التي تكررت في مواضع متعددة من الحديث لتؤكد أهمية الرسالة وتوقظ الانتباه، كما اقترن بها الحرف الناسخ "إن" لزيادة التوكيد، كما جاء تقديم الظرف " في الجسد" على اسم "إن" ليُضاعف التشويق ويُثير الفضول حول ما سيكتشف في الجملة، وهي المضغة التي نُكرت لإفادة التقليل من شأنها حجمًا، والتعظيم من أمرها أثرًا إذ هي صغيرة الهيئة عظيمة الوظيفة و"المضغة" في السياق كناية عن القلب، بما يحمله من دلالات رمزية وروحية إذ هو مركز الإيمان ومصدر القرار الأخلاقي والسلوكي، كما وردت مقابلة محكمة تجسد العلاقة العضوية والروحية بين القلب والجسد وتُشير إلى أن صلاح الظاهر متفرع عن صلاح الباطن في قوله: "إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله"، كما يظهر في الجملة نفسها جناس اشتقاق بين الأفعال "صلحت–صلح " و "فسدت–فسد" وهو جناس يضفي على العبارة ايقاعًا صوتيًا متناغمًا ممّا يرسخ الفكرة في ذهن السامع والقارئ.(عبدالفتاح لاشين، 1982م: 30) (الخليل الفراهيدي:4/370).

ويختم النَّبي حديثه بفذلكة معنوية بالغة التأثير في قوله: " لَا وَهِيَ القَلْبُ " مستعملًا أسلوبًا بديعيًا رفيعًا يقوم على الإلغاز، إذ أشار إلى أمر عظيم داخل جسد الإنسان دون أن يصرح باسمه ابتداءً بل سبقه بوصفٍ غامض مقصود فقال: "ألا وإن في الجسد مضغة..." ثم أفصح عن المقصود في الجملة الأخيرة بقوله: "ألا وهي القلب" ابن أبي الأصبع العدواني: 579).

الحديث الثاني: " عن ابن عمر، قالَ: رسولُ اللهِ ﷺ:"إنَّ منَ الشَّجرِ شجرةً لاَ يسقطُ ورقُها، وإنَّها مثلُ المُسلم، فحدِّثُوني ماهي؟" فوقع النَّاسُ في شجرِ البَوادي قالَ عبداللهِ: وقعَ في نفسي أنَّها النَّخلةُ، فاستحييْتُ، ثُمَّ قالوا: حدِّثْنا ما هيَ يا رسولَ اللهِ قالَ:" هي النَّخلةُ".(محمد بن إسماعيل البخاري، 1422هـ: رقم الحديث 61).

افتتح النَّبي حديثهُ بأسلوب إنشائي بديع، مستخدمًا أداة التوكيد "أن" في قوله: "إنَّ من الشَّجَرِ شجرةً"، لإثارة الانتباه وشحذ الاذهان نحو فكرة محورية، وقد جاء تقديم الجار والمجرور "من الشجر" على اسم "إن "ليوسع دائرة التخييل والتفكير أمام السامعين ويدفعهم إلى استحضار صور شتى من الاشجار قبل أن يصرح بالمقصود، كما ورد تأخير اسم "إن" (شجرة) بعد الجملة لإبراز عنصر المفاجأة وتعظيم شأن هذه الشجرة التي ميزها الحديث؛ لما فيها من خصائص ومميزات نافعة ومكانة بين الاشجار.

ومن بلاغته أنه لا يترك في كلامه موضع إبهام أو غموض، بل يضمنه ما يستدل به على المراد ليُثير السامعين نحو الجواب بطريق من التمهيد والايحاء دون تصريح مباشر وقد أشار أبن حجر العسقلاني إلى هذا المعنى "في الحديث إشارة إلى أنَّ الملغَزَ له ينبغي أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال، وأنَّ الملِغز ينبغي له أن لا يبالغ في التعمية بحيث لا يجعل للملغز بابًا يدخل منه، بل كلّما قرّبه كان أوقع في نفسِ سامعه"، ويعبر النَّبي عن خصائص النخلة بأسلوب كنائي رشيق في قوله: "لا يسقط ورقها" وهي كناية عن صلابتها وثباتها واستمرار نفعها، إذ جاء الفعل المضارع للدلالة على الديمومة، كما زُين بالنفي بـ(لا) لتأكيد الاستمرارية وعدم الانقطاع، فضلًا عن أن النخلة لا تشبهها بقية الأشجار فورقها لا يسقط ولا يجف وهي حية وكذلك والمؤمن له صفات وتعامل يختلف عن غيره من الملل.(ابن حجر العسقلاني، 1379هـ: 146/1) (أحمد عبده عوض، 2013م: 518).

ويعزّز النَّبي المعنى في ذهن السامع من خلال تشبيه تمثيلي مقلوب في قوله: "وإنَّها مثلُ المسلم " إذ جعل النَّخلة هي المشبه مع أنَّها في المعنى أدنى رتبة من المسلم وذلك لما تتميز به من داوم الخير؛ وطيب الثمر، واستمرار النفع في كل أجزائها فظلها دائم وثمرها متواصل لا ينقطع ومن مكوناتها ما يستفاد منه في الغذاء والدواء والصناعة، والمدلول اللغوي لـ(مسلم) "يقال فلان مسلم فيه قولان: أحدهما: المُستسلمُ لأمرِ اللهُ، والثاني: المخلص لله العبادة من قولهم سلّم الشيء لفلان أي خلصه له والإسلام إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي ﷺ..."، وأمَّا "الإيمان فهو التصديق"، وقد اختار النَّبيُّلفظة " المسلم" دون " المؤمن" في هذا الموضع لما في المسلم من دلالة العموم والانقياد الظاهر من الطاعة؛ دون ارتباط مباشر بتكليف خاص بخلاف " المؤمن " إذ يرجح استخدامها عند إرادة التكليف والالتزام الإيماني القلبي.(ابن الملقن المصري، 2008م: 265/3) (ابن منظور، 1414هـ: 293/12، 23/13).

ويعتمد النّبيُّ في تعامله مع أصحابه أسلوبًا تعليمًا راقيًا؛ فيوظف الاستفهام الحقيقي في قوله:" فحدثوني ماهي؟" دون أن يخرج عن دلالته الأصلية تعزيزًا للمشاركة الذهنية وتحفيزًا على التفكير؛ فهذا الأسلوب يجعل السامع جزءًا من الحدث التعليمي؛ ويشركه في صياغة الجواب، وفيه دعوة ضمنية للتأمل والتدبر تنم عن مهارة نبوية في التعلم والحوار. (أحمد عبده عوض، 2013م: 517).

ويواصل النَّبيُّ حديثه بإسلوب خبري في قوله: "فوقع النَّاسُ في شجرِ البوادي " مشيرًا إلى أنَّ أفكار الصحابة تفرقت في أنواع متعددة من أشجار البادية ؛ فذهب كل منهم يظن نوعًا دون أن يهتدي إلى النَّخلة وقد جاء اختيار الفعل "وقع" بدلًا من "فكر" للدلالة على سرعة الانتقال الذهني إلى تصورات معينة وفَكَرَ من "الفكرة: هي قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكُّرُ وجولان تلك الفكرة بحسب نظر العقل، ولا يقال إلّا

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب"، والأصل في (وقع) "يدلُّ على سقوط الشيء"، أي سقطت النخلة من تفكيرهم فلم يعرفوها.(أبو محمد العيني: 12/2) (الراغب الأصفهاني، 2009م: 643) (أحمد بن فارس، 1986م: 134/6).

ويختم النَّبيُّ حديثهُ بفذلكةٍ معنويةٍ بديعة، في قوله: "هي النَّخلة " حيثُ جاء الجواب بأسلوب " الالغاز" البلاغي الذي ابتدأ بذكر جنس الشجرة وصفاتها دون التصريح باسمها ؛ثُمَّ أفصح عنه في النهاية إمعانًا في تشويق السامعين وترسيخ المعنى في وجدانهم؛ وقد وظف النَّبيُّ ضمير الفصل " هي" لإبراز الجواب واستحضار صورة النخلة في أذهان أصحابه مؤكدًا بذلك المعنى المقصود ؛ واختيارهللنخلة دون سواها من الأشجار إنَّما هو لاكتمال الشبه بينها وبين المسلم، فهي ثابتة الجذور منتصبة الجذع طيبة الثمر، لا تثمر إلا إذا سُقيت، كما لا يحيا المؤمن إلا بوحي يروي قلبه والنخلة يزاحمها نبت غريب فتحتاج إلى رعاية تبعد عنها الدغل كذلك المؤمن تعترضه الشبهات والفتن فيجهد نفسه في محاسبة نفسه وصيانة قلبه.(محمد عثمان نجاتي، 2005م: 167)(عبدالرزاق البدر، 1419هـ: 125-127).

الفذلكة في الادب النَّبوي في سياق التفسير:

الحديث الاول: "عن أبي سعيد الخُدري، قالَ ﷺ: يُدعى نُوحٌ يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديكَ ياربِّ، فيقولُ: هل بلغتَ؟ فيقولُ: نعمْ، فيُقالُ لأُمَّتهِ: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقولُ: من يشهدُ لكَ؟ فيقول: محمدٌ وأُمتهُ، فتشهدون أَنَّه قد بلغ: ﴿ويكون الرسولُ عليكم شهيدًا﴾ [البقرة: 143] فذلك قولهُ جلَّ ذكرهُ:﴿ وكذلكَ جعلناكم أُمةً وسطًا لتكونوا شهداءَ على الناسِ ويكونَ الرَّسولُ عليكم شهيدًا﴾ [سورة البقرة:143].(محمد بن إسماعيل البخاري، 1422هـ: رقم الحديث 4487).

صدَّر الرسول هَدْيَهُ الشريف بالإخبار بصيغةِ ما لم يسمَّ فاعله ممثلةً في قوله: (يُدعى نوحٌ يومَ القيامةَ) وحذف الاسم الجليل (الله) ولم يصرِّح به لتعظيمهِ والعلم بهِ، ومرادُه من هذا دلالة على أنّ الذي يخبر عنه من الأمور الغيبية، وأنّ العقول لا تدرك الغيبيات بالحس المشاهد ولا تقاس عليه، وإنَّما بالإيمان واليقين والتصديق القاطع بهما وهي ركن من أركان الإيمان، ووظّف الرسول صيغة المضارعة (يُدعى) الدالة على الأحداث المستقبلية بدلالة يوم القيامة وهذا اليوم لم يحدث بعد، والداعي يوم القيامة هو الله-سبحانه وتعالى- ويعزز هذا المعنى جواب نوح ﷺ: (لبيك وسعديك يا ربِّ) لبيك أصل مسماهُ "أنَا مُقيمُ على طاعتكَ"، بمعنى أجاب الدعوة، أي إجابة بعد إجابة, والمنادى إذا نودي فإنّه يجيب أحسن ما يجيبُ بقوله: لبيك، والمراد بـ(سعديك) "الإسعاد والمساعدة متابُعة العبد أمرَ ربِّهِ ورضاهُ"، وهي "من المصادر المثناة المنصوبة والمراد

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

بها التكثير أي: كلما أجبتك في أمر فأنا في الأمر الآخر مجيب"، وفي قولهِ:(يا ربِّ) واستعمل (يا) النداء للبعيد لينبئ بعلوِّ مكانة الله وعظيم منزلته و(ربِّ) لإظهار العبودية وكمال اللجوء إلى الله وأنّه قائم بما أمرهُ به.(احمد بن فارس، 1979م: 222/4) (حمزة محمد قاسم، 1990م: 36/5) (ابن منظور، 1414هـ: 214/3) (فاضل السامرائي، 2011م: 153).

ويتجلّى لنا أسلوب الاستفهام ممثلًا في قوله ﷺ: (هل بلغتَ؟) هو سؤاله لنوح ﷺ عن البلاغ, والله هو أعلم بماذا بعثه، والاستفهام هنا لم يخرج عن معناه الحقيقي، وأرادَ الرسول أن يشدَّ انتباه المتلقين إلى عظم الأمر ويوقظهم للقاءِ ربهم وسؤاله إيّاهم، والغرض من الاستفهام تحريك نفس المتلقي لاستقبال الخبر، وثمة إيجاز حذف للمسند إليه (الرسالة) والتقدير: هل بلغت الرسالة؟، وقد حذفت لدلالة الحال والمقام عليها وأنّ الله يبعث الرسل مبشرين ومنذرين، وتوحي عبارة: هل بلغت؟ بالحسم والقطع وتوحي بالإشعارِ بأنّ هذا هو البلاغ النهائي لا بلاغ من بعدهِ، ويعزز الحالة النفسية للرسول المبلّغ وأنه أدى الأمانة كاملة غير منقوصة تقييد جوابه بـ(نعم) للدلالة على ضيق المقام، فهو مقام حساب لا مجال لذكر الحجج القاطعة فيه.(ابن الملقن المصري، 2008م: 49/22).

ثُمَّ أعقب حديثهُ بأسلوب استفهامي آخر لما وجه الله سؤاله إلى قوم نوح ﷺ في قولهِ:(هل بلغكُمْ؟) فحذف المسند إليه (نبيكم) كونه معروفًا معلومًا لديهم بتقدير: هل بلغكم نبيُّكم نوح؟.

وورد أسلوب النفي ممثلًا في جواب قوم نوح ﷺ: (ما أتانا من نذيرٍ)، والأصل في الفعل الماضي الثبوت، وبدخول (ما) النافية عليه أفادت تغيُّر معناه من الإثبات إلى النفي, و(من)هنا زائدة لأنّها سُبِقت بنفي وأفادت توكيد النفي، وتنكير لفظة (نذير) فيه مبالغة منهم للإنكار والتكذيب، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم أي ما أتانا من أحدٍ أي منذر هو ولا غيرهُ. (أبو العلا المباركفوري: 238/8).

وترك الأثر الصوتي لتكرار أسلوب الاستفهام أثرَه على سمع المتلقي وأدى إلى تحريك ذهنه باتجاه هذا الخبر وما فيه من إثارة الاستشراف واسترعاء الانتباه لما سيُلقى عليه ومن ذلك قولهﷺ: (مَنْ يَشْهَدُ لكَ؟) إذ استعمل الرسول أداة الاستفهام (من) التي يستفهم بها للعاقل وهذا ما ذهب إليه سيبويه فهي" للمسألة عن الأناسي"، و توحي صيغة المضارع في قوله: "يَشهدُ "واستحضاره في ذهن السامع، فكأن العبد حاضر بين يدي ربه في مقام المساءلة، حيث لا ينجو أحد وفي ذلك الموقف يخاطب الله نوح ﷺ لا ليُعلم الغيب وهو العليم إنما لإقامة الحجة على قومه، وإظهار صدق بلاغه وتعظيم شأن أمَّة محمدالتي تشهد له بذلك، وقد جاء جواب نوحﷺ بجملة اسمية: "محمد وأمته" تعبيرًا عن الثبات والرسوخ ولتثبيت أفضلية هذه لأمَّة ومقام رسولها في مشهد الآخرة بين سائر الأمم.(سيبويه، 1988م: 228/4) (أبو العلا المبار كفوري: 239/8).

ويثبت النَّبيُّ لأمته أنّهم سيكونون شهداء على صدق رسالة نوح كما في قوله: "فتشهدون أنَّه قد بلغ" فجاءت الفاء التعقيبية لتُفيد تتابع الأحداث دون فاصل زمن، وتُشير إلى ترابط المقامات في مشهد الآخرة، وقد استخدمت صيغة المضارعة" تشهدون" للدلالة على الحضور والاستمرارية في مقام التكريم بينما أكدت الجملة الخبرية"إن"و"قد" لإثبات وقوع الشهادة وثبوتها دون شك رغم إنكار المكذبين، وزيد المعنى تأكيدًا بدخول "قد" على الفعل الماضي "بلغ "ممَّا يضفي على الفعل طابع التحقق والقطع، ليظهر أن الحجة قد قامت، وأنّ البلاغ قد تمَّ وأن يوم الحساب واقع لا محالة.

ويختم النَّبيُّ حديثه بفذلكة لفظية سامية في قوله:" فذلك قوله جلَّ ذكرُهُ: ٹ آ ي ذ ر ى ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ئر ئزئمٹ [سورة البقرة:143]"، مُحيلًا السامعين إلى النص القرآني الذي نزل تصديقًا لما قاله وبينه وقد استعمل اسم الإشارة "ذلك" للدلالة على البعد المعنوي لا البعد المكاني بل لِمقام عالٍ رفيع؛ هو كلام الله جلَّ شأنه المنزل على قلب النَّبي المحفوظ من الباطل المعصوم من التحريف؛ ليضفي عليه بذلك جلال التوكيد وجلال المصدر، واختيار هذا الأسلوب يعزز لدى المتلقي الشعور بيقينية المشهد الغيبي، ويمنحه زخمًا وجدانيًا وفكريًا يدفعه إلى الإيمان والتأمل والتسليم؛ويؤكد أن ما نقل من حديث، إنَّما هو بيان صادق لنص قراني خالد يربط بين الشهادة النبوية وشهادة الأمة (كذلك) "والكاف هنا بمعنى مثل قوله:"(مثل ذلك الجعل العجيب)" يريد أنّ الكاف منصوب المحل على المصدر، وأنّ معنى المثل الذي تعطيه الكاف هو الصفة والحالة لا النظير والشبيه لبداعة الأمر وعجابتهِ؛ ويراد باسم الإشارة في قوله تعالى: ٹ آ كذلك جعلناكم أمة وسطاً ٹ معنى التشبيه أي: مثل ما جعلنا قبلتكم إلى البيت الحرام جعلناكم أمَّة متوسطة في المنهج والمقام فهي قبلة للناس في الهدى والحق،كما الكعبة قبلة الاتجاه والمكان، ورد الفعل الماضي " جعلناكم" ليدل على ثبوت هذا الاصطفاء واستقراره، وقد عُدَّي إلى مفعولين بمعنى "صيرناكم" أي صيرناكم حملةً لمشعل الهداية؛ ورسل خيرٍ وإصلاح لا غلو فيكم ولا تقصير، بل أنتم على جادة الاعتدال والحق أمَّا تنكير لفظة " أمَّة" فقد أفاد التعظيم والتفخيم لما تحمله هذه الجماعة من خصائص فريدة؛ ولاسيما بوجود خاتم النبيين فيهم ممَّا يجعلهم أمَة مميزة بين سائر الامم. (شرف الدين الطيبي، 2013م: 3/131) (محمد سيد طنطاوي، 1998م: 296/1) (دروزة محمد عزت،1383ه : 302/1).

امتاز النص القرآني بجزالة نظمه، ودقة تعبيره وتمام معانيهِ؛ من ذلك استعماله للفظ"وسطًا "في قوله تعالى:"(وكذلك جعلناكم أمة وسطا)" حيث وردت "وسطًا" بصيغة المذكر رغم مجيئها وصفًا لـ"أمة" المؤنثة وذلك لان الكلمة اسم جامد يستوي فيه التذكير والتأنيث والإفراد والجمع، ولذا لم تصغ بـ "وسطى" وقد حملت "وسطًا" معنى العدل وأصل استعمالها إلى ما يتوسط الشيء من أطرافه يعود كمركز الدائرة؛ ثُمَّ نُقلت

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

بالاستعارة إلى الفضائل الأخلاقية إذ توصف بأنَّها "أوساط" لأنَّها متوسطة بين طرفي الغلو والتقصير كصفة الكرم التي تتوسط بين البخل والإسراف ويتابع السياق القرآني بيان فضل هذه الأمة بجملة خبرية مقرونة باللام التعليلية في قوله تعالى:"(لتكونوا شهداء على النّاس)" أي: إن جعلهم أمة وسطًا لأجل أن يكلفوا بمقام الشهادة على الأمم بوصفهم أهل عدل واستقامة، ثُمَّ وصل القرآن الكريم الجملة التالية:"(ويكون الرسول عليكم شهيدًا)" بما قبلها لما بين الجملتين من تناسب في المعنى والتركيب؛ إذ اشتركتا في كون كل منهما بيانًا لمقام الشهادة؛ مع اختصاص الرسول بالشهادة على أمته، وقد دلت لام العهد في كلمة " الرسول" على أنهمعلوم ومعهود الذكر لدى المخاطبين.(أبو القاسم الزمخشري،1407م: 198/1) (محمد عبدالرحيم صافي، 1418هـ: 293/2) (محمد أبو زهرة: 439/1).

ومن الأساليب التي تُثير ذهن المتلقي وتحفزه على التأمل ما يتعلق بتغيّر نظام الجملة؛ كالتقديم والتأخير ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى "(لتكونوا شهداء على النَّاس)" حيث قدم الاسم " شهداء " على الجار والمجرور" على النَّاس" لإبراز اختصاص الأمة بهذه المهمة العظيمة وتأكيد كون الشهادة من صفاتهم الراسخة، كما أفادت " على" معنى الاستعلاء المعنوي في إشارة إلى رفعة مقام هذه الأمة بما وهبت من خصال العدل والاعتدال ؛ وورد الاسمية في لفظة " الشهداء" دلَّ على ثبوت الشهادة واستمرارها، وجاء جمع التكسير "شهداء" دالًا على الكثرة والمبالغة في التكليف والفضل بين الامم.(أبو القاسم الزمخشري، 1407هـ: 197/1) (محيي الدين درويش، 1415هـ: 203/1).

الحديث الثاني: "عن عليٍّ قالَ: كُنَّا مع النَّبيِّفي بقيع الغرقدِ في جنازةٍ، فقال: " ما منْكمْ من أحدٍ إلا وقدْ كُتب مقعدهُ من الجنَّةِ، ومقعدهُ من النَّارِ"، فقالوا: يا رسول اللهِ أفلا نتَّكلُ؟ فقال:" اعملوا فكلٌّ ميسرٌ" ثُمَّ قرأ: ﴿فأمَّا من أعطى واتَّقى وصدقَ بالحُسنى﴾ [سورة الليل:6] ".(محمد بن إسماعيل البخاري، 1422هـ: رقم الحديث 4945).

ابتدأ الرسول حديثهُ بأسلوب قصر موصوف على صفة في قوله:"(ما منكم من أحدٍ إلا وقد كُتب مقعدهُ من الجنَّة، ومقعده من النَّار)" ففيه يقصر (من أحدٍ) على المسند (قد كُتبَ) أي قد كتب الله آجالهم، وأفاد القصر تشويق المتلقي؛ لأنَّه عندما سمع (ما من أحدٍ) بقي مترقبًا المسند لتعم الفائدة ويعرف الحكم و(من) هنا زائدة للتوكيد، وتوظيف أداة الاستثناء (إلَّا) يقوي شوق المتلقي ويزيد تطلّعه إلى معرفة المسند وهو المقصور عليه حتَّى إذا أُورد الحكم تمكن في نفسه فضلَ تمكن، والخطاب هنا عام بدلالة (منكم), وممَّا يعزّز ذلك مجيء (أحدٍ) نكرة في سياق النفي الذي أفاد العموم، ودخول (قد) على صيغة الماضي (كُتِب)

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّة
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أفاد تحقيق وحصول الأمر، وحذف الفاعل للتعظيم والتفخيم من شأن الله لأنّ الذي يكتب الأقدار هو الله , ويتبيّن من ذلك أنّ مخلوقات الله جميعها من المكونات بأمرهِ بكلمةِ كن فيكون من إنسانٍ أو حيوانٍ، أو حركات العباد واختلاف إرادتهم وأعمالهم بمعاصٍ أو طاعات، ذلك كله مقدّرٌ عنده –سبحانه وتعالى– بالأزمان والأوقات لا مزيد في شيء منها، ولا نقصان عنها، ولا تأخير لشيءٍ منها عن وقتهِ ولا تقديم قبل وقتهِ، ووظّفَ الرسول مؤكِّدات الخبر (إلّا، قد) لتمكين الخبر في نفس المتلقي وتقويته وإزالة الشك.(ابن بطال، 2003م: 303/10).

ويتبع الرسولفي حديثهِ بالإخبار عن أحوال النّاس في قوله: "(وقد كتب مقعدهُ من الجنةِ، ومقعدهُ من النَّار)" وذلك بدلالة واو الحالية، وهو أنّ الله دبّر الأشياء على ما شاء، وربطها ببعضها، وجعلها أسبابًا ومسببات, وإنْ كان يقدر على إيجاد الجميع ابتداءً بلا أسباب ووسائط كما خلق المبادئ والأسباب، لكنّه أمرٌ اقتضته حكمته وسبقت به كلمته وجرت عليه عادته، فمن قدر أنّه من أهل الجنة قدر له ما يقرّبه إليها من الأعمال والأقوال, ووفقه لذلك بأقداره وتمكينه منه، وتحريضه عليه بالترغيبِ والترهيبِ، وألانَ قلبه لقبول الحقّ، وأرشدهُ للتمييز بين الباطلِ والحقّ، وأما قوله ﷺ:" (ومقعده من النار)" الواو هنا بمعنى (أو) أي إنّ الله علم مصيره ومستقرة في الجنة أو في النار، وكتبه وذلك قبل وجودهِ، ومن قدّر له أنّه من أهل النَّارِ قدّر له خلاف ذلك، وخذله حتَّى اتبعَ هواهُ، ورانَ على قلبه واتبع الشهوات ولم تُغْنِ عنه النُّذر والآيات, وكان ذلك سبب دخوله النَّار والعياذُ بالله.(ناصر الدين البيضاوي، 2012م: 1/94–95).

ومن جميل بلاغتهِ أنّه صدَّر حديثه بأسلوب يُثير تساؤلًا في نفوس أصحابه ﷺ وذلك في قوله نقلًا عن لسان أصحابه: (فقالوا: يا رسول الله أفلا نتَّكلُ؟) خاطب الصحابةُ ﷺ الرسول بـ(ياء) النّداء التي للبعيد وهو في مجلسهم، ففي تنزيله منزلة البعيد بيان شرف مكانتهِ، وقد آزر هذا الخطاب إيثار لفظ الرسول مضافًا إلى الاسم الجليل (الله) يضفي على النّص بهاءً وقدسية، واستفهم الصحابةﷺأفلا نتَّكل؟ الفاء معقبة لشيء محذوف تقدير فإذا كان كذلك أفلا نتَّكل إذْ لم يخرجْ الاستفهام هنا عن معناه الحقيقي والفاء جواب الشرط، أي إذا كان الأمر كذلك أفلا نعتمد على كتابنا المقدّر لنا في الأزل، ونترك السعي في العمل، إذا سبق القضاء لكل واحدٍ منا وقدّر مقعده من الجنَّة أو النار فأيُّ فائدةٍ من السعي والعمل. (أبو الحسن المباركفوري، 1984م: 1/169).

فختم الرسول حديثه مجيبًا صحبه ﷺ بفذلكةٍ معنويةٍ ممثلّة في قوله:" (اعملوا فكل مُيسَّرُ ثُمَّ قرأ:﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى﴾ [سورة الليل: ٦]" إِلَى قَوْلِهِ" ﴿لِلْعُسْرَى﴾ "[سورة الليل: ١٠])"، ووظّف

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

الرسول الأسلوب الحكيم في قوله: (اعملوا فكل ميسر) ويجيب الرسول بحنكتهِ ولباقتهِ خلاف مراد أصحابه فضلًا عن استعمالهِ أسلوب الاكتفاء الذي يدعو المتلقي إلى التأمل بالمحذوف والتفكير بالطاعات.

ويتجلى في الآيات الكريمة "(فأمَّا من أعطَى وَاتَّقَى وصدّقَ بالحسنى)" أسلوب قرآني بديع يقوم على المقابلة، وهي من أبرز أدوات البيان إذ يعقد مقارنة دقيقة بين نمطين من النَّاس أحدهما: يسلك طريق البر، والآخر يسير في دروب الغواية، كما صور النص الفريق الأول بصفات ثلاث: "أعطى، واتقى، وصدق بالحسنى" ثُمَّ رتب عليها النتيجة" فسَنُيسَّرهِ لليسرى" واللافت أن المفعول به للفعلين" أعطى " و"اتقى" لم يذكر، ممَّا أضفى على المعنى سعةً وشمولًا فصار كل عطاء ممكن ماديًا كان أو معنويًا داخلًا في المعنى وينضوي تحته المال، العلم، الدعم المعنوي، أو احسانًا في التعامل والسلوك وذهب محمد بن عاشور "إنّ الإعطاء إذا أُريد بهِ إعطاء المال بدون عوضٍ يُنزَّلُ منزلةِ اللَّازم لاشتهار استعمالهِ في إعطاءِ المال، وحذف مفعول (اتقى) لأنّه يُعلمُ أنَّ المقدَّر اتقى الله "، كما أنّ التقوى تمثل الدافع الأساس للعطاء فإن النفس بطبعها تميل إلى حب المال؛ فلا يبذله الإنسان إلا إذا حمله إيمانه على ذلك، فمن قدَّم نفسه وماله في سبيل طاعة الله، وخشي سخطه، وصدق بالرسالة التي عبر القرآن بـ" الحسنى" فقد استحق العون الرباني والتوفيق الإلهي وتجلى ذلك في قوله تعالى:"(فَسنُيسَرهُ لليسرى)" حيثُ اجتمع في العبارة جناس اشتقاقي بين "نيسره" و"اليسرى" ممَّا اضفى ايقاعًا لفظيًا ينسجم مع المعنى ويضفي على النفس نوعًا من الهدوء والسكينة.(عبدالرحمن حبنّكة الميداني، 2002م: 492/1) (محمد الطاهر ابن عاشور، 1984م: 382/30) (سيد قطب، 2003م: 3922/5).

ويقابل الخطاب القرآني الصنف الأول بصنف ثاني ممثلًا في قوله تعالى:" ﴿ وأمَّا من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسرهُ لليسرى ﴾" حيثُ يرسم ملامح نمطٍ بشري منحرف يتمثل بالبخل لا في المال فحسب بل في جميع صور العطاء كما أنّه مصحوبًا بشعور الاكتفاء عن طاعة الله والاستغناء عن رحمته وفضله، وهذا المسلك النفسي والعقائدي يُفضي إلى التمرد والتكذيب إذ لم يصدق صاحبه بما وعد الله به المتقين من ثواب جزيل ؛ فجاء التعبير الإلهي" فسنيسره للعسرى " ليبين أن طريق الشقاء قد يفتح أمامه ليتناسب مع اختياره؛ فهو يسلكه بإرادته، هذاما ذهب إليه محمد بن جرير الطبري (ت310 هـ) "وأمَّا من بخل بالنفقة في سبيل الله، ومنع ما وهب الله له من فضلهِ، من صرفه في الوجوه التي أمر الله بصرفهِ فيها، واستغنى عن ربه، فلم يرغب إليه بالعمل له بطاعتهِ بالزيادةِ فيما خوّله من ذلك".(عبدالرحمن حبنّكة، 2002م: 493/1) (أبو جعفر الطبري، 2001م: 466/24).

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّة

نتائج البحث

وقف البحث على عدة نتائج نوجزها في الآتي:

- إنّ الفذلكة تمتاز بخاصيتين بلاغيتين رئيسيتين: الإجمال بعد تفصيل؛ إذ يوجز الحكم أولًا على نحو كلي، ثُمَّ يُفصل عبر التمثيل: "كالراعي يرعى حول الحمى....، والتهيئة النفسية والمعنوية؛ فهي لا تكفي بالتصنيف، بل تزرع في النفس تحفزًا للاتقاء والحذر، ممَّا يجعل وقع التمثيل لاحقًا أشد تأثيرًا.
- الفذلكة تُحضِّر الذهن للمماثلة بين كائن طبيعي (النخلة) والإنسان المسلم، بما يفتح باب التأمل في الصفات المشتركة، مثل الثبات، النفع، الاستقامة، وعدم السقوط.
- من الخصائص البلاغية للفذلكة أنّها تأتي لبناء إطار تصوري قبل الكشف عن المثال (النخلة)، ممَّا يعزز الفهم ويجعل العبرة أرسخ وهذا من دلائل بلاغة حديث الرسول ﷺ.
- تنوعت صور الفذلكة في الأحاديث المختارة للدراسة بين لفظية التي تُؤدى بأدوات لغوية محددة غالبًا ما تتمثل في أسماء الإشارة مثل:" هذا، هذه، هذان، تلك..." وتستخدم لربط المعاني أو تلخيص القول، وفذلكة معنوية لا تعتمد على أدوات ظاهرة بل تستنتج من السياق عبر التأمل والتدبر.
- دلت الأحاديث المختارة من صحيح البخاري على عبقرية الخطاب النَّبوي في الجمع بين البلاغة والإقناع والإيجاز والتأثير؛ من خلال فذلكات كانت خاتمة للكلام النَّبوي وذلك بخلاصات تجمع بين صفاء التعبير، وعمق الدلالة.
- دلَّ تحليل النماذج المختارة على أن الفذلكة تمثل بُعدًا بيانيًا أصيلًا في حديث النّبيُّ هذا يعكس عمق البيان النَّبوي ودقته اللغوية في أداء المعنى بمستوياته المختلفة.

المصادر

[1] ابن الرومي. (2002م). ديوان ابن الرومي. ط3. دار الكتب العلمية. بيروت.

[2] ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن على بن أحمد الشافعي المصري. (2008م). التوضيح لشرح الجامع الصحيح. ط1. دار النوادر. دمشق–سوريا.

[3] ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي. (1997م). الفهرست. ط2. دار المعرفة. بيروت.

[4] ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك. (2003م). شرح صحيح البخاري. ط2. دار ومكتبة الرشد. الرياض–السعودية.

[5] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر. (1984ه). التحرير والتنوير(تنوير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد). د.ط. الدار التونسية للنشر. تونس.

[6] ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني أبو الحسين. (1979م). مقاييس اللغة. د.ط. دار الفكر.

[7] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين أبو الفضل. (1414ه). لسان العرب. ط3. دار صادر. بيروت.

[8] أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي. (د.ت). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. د.ط. المكتبة العلمية. بيروت.

[9] أبو الوفاء، نصر بن نصر يونس الوفائي الهوريني الأحمدي الأزهري. (2005م). المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطيّة. ط1. مكتبة السنة. القاهرة.

[10] أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد. (د.ت). زهرة التفاسير. د.ط. دار الفكر العربي.

[11] أحمد، سعد عبدالرحيم أحمد. (2011م). التشبيه في الحديث الشَّريف دراسة في متن صحيح البخاري.د.ط.دار غيداء للنشر والتوزيع.

[12] الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب. (2009م). مفردات الفاظ القرآن. ط4. دار القلم – الدار الشامية – دمشق–بيروت.

[13] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله. (1422ه). صحيح البخاري= الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه. ط1. دار طوق النجاة. بيروت.

[14] البدر، عبدالرزاق بن عبدالمحسن. (1419ه). تأملات في مماثلة المؤمن للنخلة. ط7. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

[15] البدر، عبدالمحسن بن حمد بن عبدالمحسن بن عبدالله بن حمد العباد. (2003م). فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله. ط1. دار ابن القيم. الدمام–المملكة العربية السعودية.

[16] البستاني، بطرس. (1977م). محيط المحيط قاموس مطوّل للغة العربية. د.ط. مكتبة لبنان. بيروت.

[17] البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني. (د.ت). هدية العارفين أسماء المؤلفين

وأثار المصنفين. د.ط. دار إحياء التراث العربي. بيروت–لبنان

[18] البيضاوي، ناصر الدين عبدالله بن عمر. (2012م). تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة. د.ط. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الكويت.

[19] الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك. (1975م). سنن الترمذي. ط2. شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر.

[20] التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي. (1996م). موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ط1. مكتبة لبنان ناشرون. بيروت.

[21] تيمور، أحمد بن إسماعيل بن محمد. (2001م). السماع والقياس. ط1. دار الآفاق. مصر.

[22] الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان. (1423هـ). البيان والتبيين. د.ط. دار ومكتبة الهلال. بيروت.

[23] الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. 1983م. كتاب التعريفات. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت.

[24] الجناجي، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبدالرزاق. (2006م). البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع. د.ط. المكتبة الأزهرية للتراث. القاهرة – مصر.

[25] الخفاجي، شهاب الدين أحمد المصري. (1952م). شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل. ط1. مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى.

[26] درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى. (1415هـ). إعراب القرآن وبيانه. ط4، دار الإرشاد للشؤون الجامعية. حمص– سورية، دار اليمامة. دمشق–بيروت. دار ابن كثير. دمشق– بيروت.

[27] الدقر، عبدالغني بن عامر. (1986م). معجم القواعد العربية في النحو والتصريف وذيل بالإملاء. ط1. دار القلم. دمشق–سوريا.

[28] رضا، أحمد. (1960م). معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة). د.ط. دار مكتبة الحياة. بيروت.

[29] الزبيدي، محمد بن محمد بن عبدالرزاق أبو الفيض. د.ت. تاج العروس من جواهر القاموس. د.ط. دار الهداية.

[30] الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (1407هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط3. دار الكتاب العربي. بيروت.

[31] السامرائي، فاضل صالح. (2011م). معاني النحو. ط5. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الأردن.

[32] السبكي، أحمد بن علي بن عبدالكافي أبو حامد بهاء الدين. (2003م). عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. ط1. المكتبة العصرية للطباعة والنشر. بيروت.

[33] سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي أبو بشر. (1988م). الكتاب. ط3. مكتبة الخانجي. القاهرة.

[34] سيد قطب. (1972م). في ظلال القرآن. ط1. دار الشرق.

[35] السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. (2011م). شرح عقود الجمان في المعاني والبيان. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت.

[36] صابان، سهيل. (2000م). المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية. د.ط. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض.

[37] صافي، محمود بن عبدالرحيم. (1418هـ). الجدول في إعراب القرآن الكريم. ط4. دار الرشيد–دمشق. مؤسسة الإيمان–بيروت.

[38] الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن. (1979م). التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية. د.ط. مطبعة دار الكتب. القاهرة.

[39] طبانة، بدوي. (1988م). معجم البلاغة العربية. ط3. دار المنارة للنشر والتوزيع. جدة. دار الرفاعي للنشر والتوزيع. الرياض.

[40] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر. (2001م). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ط1. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

[41] طنطاوي، محمد سيد. (1998م). التفسير الوسيط للقرآن الكريم. ط1. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة.

[42] الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبدالله. (2013م). فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف). ط1. جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

[43] العدواني، عبدالعظيم بن الواحد بن ظافر بن أبي الأصبع. (د.ت). تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. د.ط. لجنة إحياء التراث الإسلامي. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية–الإمارات العربية المتحدة.

[44] عزت، دروزة محمد عزت. (1383هـ). التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]. ط1. دار

إحياء الكتب العربية. القاهرة.

[45] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل. (1379هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري. د.ط. دار المعرفة. بيروت.

[46] عمر، أحمد مختار عبدالحميد. (2008م). معجم اللغة العربية المعاصرة. ط1. عالم الكتب.

[47] عوض، أحمد عبده. (2013م). موسوعة بلاغة الرسول ﷺ. ط1. دار مركز الكتاب للنشر.

[48] العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي. (د.ت). عمدة القاري شرح صحيح البخاري. د.ط. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

[49] الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري. (د.ت). العين. د.ط. دار ومكتبة الهلال.

[50] الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (2005م). القاموس المحيط. ط8. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت–لبنان.

[51] قاسم، حمزة محمد. (1990م). منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري. د.ط. مكتبة دار البيان–دمشق. مكتبة المؤيد–الطائف–السعودية.

[52] القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبدالملك. (1323هـ). إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. ط7، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر.

[53] الكرماني، شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن سعيد. (1981م). الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري. ط1. دار إحياء التراث العربي. بيروت–لبنان.

[54] الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي. (د.ت). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. د.ط. مؤسسة الرسالة. بيروت.

[55] لاشين، عبدالفتاح. (1982م). من بلاغة الحديث النبوي. ط1. مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع. الرياض–السعودية.

[56] المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبدالسلام بن خان محمد. (1984م). مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. ط3. إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء. الجامعة السلفية–بنارس–الهند.

[57] المباركفوري، أبو العلا محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم. (د.ت). تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. د.ط. دار الكتب العلمية. بيروت.

[58] المتنبي. (1983م). ديوان المتنبي. ط1. دار بيروت. بيروت.
[59] مجموعة من المؤلفين. (1998م). موجز دائرة المعارف الإسلامية. ط1. مركز الشارقة للإبداع الفكري.
[60] مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب. (د.ت). تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. ط1. مكتبة الثقافة الدينية.
[61] مصطفى، إبراهيم ومجموعة من المؤلفين. (د.ت). المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة. د.ط. دار الدعوة.
[62] مطلوب، أحمد. (1993م). معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. ط2. مكتبة لبنان ناشرون.
[63] الميداني، عبدالرحمن حبنّكة. (2002م). معارج التفكر ودقائق التدبر. ط1. دار القلم. دمشق- سوريا.
[64] نجاتي، محمد عثمان. (2005م). الحديث النبوي وعلم النفس. ط6. دار الشروق. القاهرة.
[65] النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن على الخراساني. (1986م). المجتبى من السنن=السنن الصغرى. ط2. مكتب مطبوعات الإسلامية. حلب.
[66] النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف. (1392هـ). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ط2. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
[67] هارون، عبدالسلام. (1985م). كناشة النوادر. ط1. مكتبة الخانجي. القاهرة.
[68] الهرري، محمد الأمين بن عبدالله الأُرمي العلوي الشافعي. (2009م). شرح صحيح مسلم (المسمى: الكوكب الوهاج والروض البهّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج). ط1. دار المنهاج، دار طوق النجاة.
[69] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري. (1999م). شرح الواحدي لديوان المتنبي. ط1. دار الرائد العربي. بيروت.